القصص

صور من هوميروس

١٠ ـ حروب طروادة

معركة بين الآلهة . . .

للأستاذ دريني خشبة

وقفت نَدْمانَةُ الآلهة « هيب » اللعوب الهيفاء ، تسقي أربابها خمراً ! وكان الأولمب يزخر بسادته

فهذا زيوس العظيم مستوياً على عرشه الضخم المرصع بالجوهر والياقوت

وهذا أبولاو سيد الشمس ، وصاحب القوس ، يوقع على قيثارته أشجى ألحانه

وهذا ڤلكان ، الحداد القذر ، قد بدا في حلة جديدة ذات ألوان صارخة

وذاك مارس الجبار ، إلَه الحرب ، يلاعب الأسنة ، ويداعب الصَّمْصَامَةَ المُرِنَّة

وذلك هرمز ، عزرائيل هيدز الكريم ، ورسول الآلهة إلى سكان الأرض ، يرسل في الملأ نظراته الساخرة ، ونكاته المنكرة

وهذه حيرا ، ، مليكة الأولمب ، تود لو تضرم النار في قصور مولاها ، إن لم يقض بانتصار الأغريق !

وهذي مينرڤا . . . الحكيمة الراشدة . . . تصمت صمتاً أبلغ من وَحْي الأولمب كله ، ترى هل تستطيع تسخير هذه العصبة من الأرباب لسحق پاريس وقومه وأحلافه !

ثم طائفة كبيرة من الآلهة وأنصاف الآلهة . . .

وهيب اللعوب تسقي الجميع خمراً !!

وللخمر الأولمبية ، كما لخمر هذه الأرض ، نشوة وسورة ، ولها على رؤوس أربابها صولة وسلطان ، وهي مثلها تُرَوِّي حتى تبلغ المُشاش ، وتتغلغل حتى لتمتزج بالدم !

وهيب تروح وتجيء ، حلوة بسامة ... كأنها مدامة !

ورَوِيَ الجميع إلا حيرا !!

وانتشى الجميع إلا مينرڤا !!

لقد كانتا ما تفكران إلا في هذه الساحة الحمراء ، وما يقع فيها من بلاء !

أليس قد ذهب الهيلانيون ينتقمون لكبريائهما من پاريس ومن قوم پاريس ؟

ألم تنصح عروس الماء ، إيونونيه ، لپاريس ألا يصيخ لڤينوس ، وأن يعطي التفاحة لمينرڤا ؟

ألم تحذره من التعرض لنقمة الربتين العظيمتين ؟

غير أنه أبى ! !

وآثر الجمال والحب ، ثم الشقاء والحرب ، مع ڤينوس ، على القوة والصولة ، والملك الكبير ، والحكمة والنورانية ، مع حيرا أو مينرڤا !!

وبذلك جلب على نفسه وقومه وبال هذه الحرب ونكالها !

وليس اليوم أروح إلى قلب حيرا ، وأرضى إلى نفس مينرڤا ، من أن تنصرا جحافل الهيلانيين ، وتثبّتا في ساحة الحرب أقدامهم !

ولكن أخيل منفرد في معسكره وهو مغثود محزون !

وقد وعدته أمه بالأنثار له ، وكلمت فيه زيوس سيد الأولمب ، ولم تزل به تسلط عليه ذكريات غرامهما القديم حتى زلزلت أركانه ، وسلبت جنانه ، وانتزعت منه وعداً قدسياً بأن ينتقم

من أجاممنون ، وجنوده لأخيلها العزيز !

تانيكم إذن حيرا ومينرفا

وذا كم زيوس كبير أرباب الأولمب

أما أبوللو ، فهو لا ينسى أن فضحه أجاممنون فى بنت كاهنه ، وهو ما يفتأ يتربص بالقوم ، ويدبر لهم سوء المنقلب !

وأما قينوس ، ... ، ... ؟ ...

فتلك أبرّ پاريس وبقوم پاريس ، وهى أبداً ستحمى پاريس وجند پاريس !! لأنها ستذكر له أبداً أنه نصرها على حيرا . . . وأيدها على مينرفا !!

وكذلك أوقدت هذه الحرب العداوة والبغضاء بين الآلهة ، وأضرمت النيران فى قصور الأولمب !

فللآلهة فى جبل (إيدا) معسكران ، كما لبنى الموتى حول طروادة معسكران ! !

* * *

أوشك منالايوس أن يفتك پاريس ، لولا أن أنقذته قينوس ولفيته هيلين عاتلةً مغضبة ، لكنه نَسِى نفسه بين ذراعيها ، واستماحها أن تدع حديث الحرب إلى نشوة الحب ، . . . « على أن أعود فأثأر لنفسى من منالايوس العنيد ، الذى لولا حماية مينرفا وحيرا له لبطشت به وجعلته خبراً فى الذاهبين . . . »

وكان العهد بين پريام الملك ، وأجاممنون قائد الهيلانيين ، أن يُلقى المغلوب السِّلَحَ ، فلما فرّ پاريس تقدم أجاممنون وطلب أن يسلم الطرواديون هيلين الأرجيفيه ، وأن يقدموا دروع پاريس وسيفه ، وفرسه ، وجميع عدته الحربية ، لتكون أثراً خالداً يحتفظ به الأغريق ويتوارثونه رمزاً لمجدهم الحربى ، وتذكاراً لفوزهم وغَلَبهم

بيد أن الطرواديين رفضوا هذا الطلب : « لأن أحداً من المتبارزين لم يظفر بالآخر ، ولأن قطرة من الدم لم تصبغ أديم الأرض فتكون شاهد النصر »

وكانت بين الفريق مهادنة

فخشيت حيرا ومينرفا أن يطول أمدها ، واتفقتا على أن تذهب مينرفا هذه المرة أيضاً فتضع حداً لهذا السلام الذى يشمل الساحة ، وأن تثير الحرب من جديد !

وذهبت مينرفا فانغمست بين صفوف الطرواديين ؛ وسحرت نفسها فبدت فى عدة (لاودوكوس) البطل الطروادى وهيئته ، ثم وترت قوسها وأرسلت سهماً مراشاً نفذ فى جسم منالايوس إذ هو يبحث عبثاً عن پاريس . . .

وتجددت الحرب بين الفريقين بسبب هذه السهم ، فكانت حرباً زبوناً ، طاشت من هولها الأحلام ، وبلغت القلوب الحناجر وزاغت الأبصار فما ترى إلا حميا . . .

وعز على قينوس أن ينهزم جند طروادة ، وهم أولياؤها وصنائعها ، فذكرت أن لها فى أرباب الأولمب عاشقاً هياناً يترضاها ويلتمس وصلة منها تشفى قلبه الخفق ، وتداوى هواه الثائر ، وأعصابه التى مزقها الحب ، وأذابها لظى الغرام ، فانطلقت إليه تغريه بكل ابتسامة تلين الحديد ، وكل نظرة ساجية تفجر الماء من الصخر ، أن يقوم من فوره فينفخ من روحه فى قلوب الطرواديين ، ويؤيد بنصره صفوفهم . . .

ذلك هو مارس ، مُسعّر الحروب ومورى لظاها !

وطرب الطرواديون لوجود رب القتال فى صفوفهم يناصب أعداءهم الحرب فيجعلها ضراماً ، ويصلصل دروعه فيوقع فى قلوبهم الرعب ، ويثير فى نفوسهم الهلع ، ويروّعهم ترويعاً . . .

وكانت إلى جانبه قينوس تنفث فيه سحرها ، فكان لا يلقى فارساً إلا طعنه فيكبه على وجهه ، ثم يشكه فيجفوه [1] من الأرض ، كأنما يتخذ منه هزواً وسخرياً ! !

وهرع أبوللو فأمطر الهيلانيين وابلا من سهامه التى ما مست أحداً إلا أردته ، وما أقصدت صدراً إلا شقته . . .

وساء منقلب الهيلانيين !

وعز على حيرا ومينرفا أن ينهزم أصحابهما ، وأن يصلوها من مارس وأبوللو ناراً حامية ، وهزيمة منكرة ، ثم لا يكون بحسبهم ضربات مارس اللزاب ، وسهام أبوللو المفوّقة ، بل تطحنهم هذه الصواعق الجهنمية التى سلطها كبير الآلهة عليهم ؛ زيوس ، سيد الأولمب ، الذى أصبح كل همه أن ينتقم لأخيل بن حبيبته

(١) جفاه من الأرض أى رفعه .

ذيتيس من هؤلاء الأغريق ناكرى الجميل ! !

وعبست حيرا عبوساً ثقيلاً ، ودعت إليها ميزفا ، وجلستا تفكران ! وبدا لهما أن يذهبا إلى الأولمب فيستدعيا رب البحار العظيم ، نبتيون ، فيضع حداً لهذه القسوة التي يبديها مارس وزميله أبوللو . . .

ولكن كيف السبيل إلى غل يد زيوس ، ورد صواعقه التي تنحط على الأغريق من عل ، فلا تبقي عليهم ولا تذر ؟

آه ! لا سبيل إلى ذلك إلا بمنطقة ڤينوس السحرية ! ستوس ! تلك المنطقة العجيبة التي تغوي كل من نظر اليها ، وتشعل في قلبه لظى من الهوى ، وضراماً من الحب . لا بأس إذن من ممالقة ڤينوس حتى تنزل عن منطقتها أياماً لمليكة الأولمب وكبيرة ربانه ، ثم لتذهب مليكة الأولمب بمنطقة ڤينوس لتعبث كثيراً — أو قليلاً — بقلب زيوس ، الذي ما يفتأ يرسل صواعقه على الأغريق من جبل (إيدا) ، وليس شك أن سيصبو زيوس حين يرى منطقة ڤينوس تزين خصر حيرا وتبرز مفاتن صدرها ؛ فاذا عصفت به فورة التشهي ، وحاول قبلة واحدة من آثر زوجاته إليه ، فلا بأس من أن تمنحه إياها ... ولكن ... لتنهز سكرته العميقة وتسلط عليه إلّه النوم الجبار — الذي هو داعماً في خدمتها أينما سارت — فيغرقه في سُبات عميق ، ويظل به يداعب أجفانه ، ويُرسل أحلامه ، حتى يكون نبتيون قد انكشف لمارس وصاحبه ، وأجنادهما ، فيقذف الرعب في قلوبهم ، ويزلزل أركانهم ، ويوهي عزائمهم ؛ ويختلط حابلهم بنابلهم فيولون مدبرين لا يلوي أحد على أحد ! . . .

وقد أفلحت خطة حيرا . . .

فهذا مارس ما يكاد يلمح نبتيون حتى يذكر هذه الأيام السوداء التي صب عليه فيها رب البحار سوط عذابه [1] ، فيخفق قلبه ، وترتعد فرائصه ، ويكبو زنده ، وتذهب ريحه وتنحطم شوكته ... ثم يقذفه نبتيون بسهم ، وقل أن تطيش سهام نبتيون ، فيصرخ إلّه الكريهة صرخة كريهة ، وينفتل من الحلبة الحمراء مولياً عقبه ، ساخطاً على ڤينوس ، وما يجر اليه غرام ڤينوس ! ! !

وولى في إثره أتباعه الطغاة ، آلهة الشرور ، إريس رب الشغب ، وفوبوس رب الرعب ، وميتوس رب الخوف ، وديميوس رب الفزع ، وپالور رب الهلع . . . عصبة الاجرام وشرذمة الآثام ، والطغمة الباغية من أوشاب الأولمب ! !

وأفيق الأغريق مما حل بهم من روع . . .

ونظروا فرأوا مارس وملأه مولين الأدبار ، والدم يتدفق من جراحهم جميعاً ؛ فأفرخ روعهم ، وأمن سربهم ، ثم لموا شعثهم وهجموا على أعدائهم هجمة رجل واحد ، فأدالوا لأنفسهم ، وثأروا لكبريائهم ، وانصرفوا يتفقدون جرحاهم ، ويحرّقون جثث قتلاهم الشهداء !

يا للهول !

لقد قتل إمبريوس البطل ! قتله تيوسير ، غير راحم شبابه ، ولا مبق على عوده الفينان !

وأمقيا خوس ! ! لقد صرعه هكتور بن پريام ، غير راث لأمه العجوز الهرمة ، ولا آبه بالباكين حوله والمعولين ! !

وديوميد ! ! زين شباب هيلاس ، وآثر فتيانها إلى قلوب الآلهة ! لقد جرحه پاريس بسهم أوشك أن يكون قاتلاً ! لولا أن أدركه جنوده فأسعفوه ، وضمدوا جرحه وإلى المعسكر حملوه !

وأجاممنون ! لقد برّز في المعمعة ، ودل على الفروسية التي بهرت الطروادين ، بيد أنه أصيب بسهم نفذ فيه ، فارتد على عقبه يصرخ ويتلوى !

وأوليسيز !! أوليسيز العظيم !! لقد أرسل إليه سوكوس ، أمهر رماة طروادة ، بسهم مُفَوَّق ، فجعله ينتفض كما ينتفض المحموم ، ويخر إلى الأرض فيتأوّد كمن لدغته أفعى ، ولولا أن أدركه أجاكس ومنالايوس فأسعفاه لكان من الغابرين !

وأجاكس كذلك ! لقد أتاه سهم كاد يذهب به لولا بقية من حياة ! !

ويحاون ! لقد روعه پاريس هو الآخر فشكى وبكي ! !

* * *

(١) إشارة إلى الأسطورة القديمة التي وقع فيها مارس أسيراً للماردين الجبارين بتدبير نبتيون

أرأيت ؟

لقد نال الطروادیون وأحلافهم من جوع الهیلانیین ، ولولا أن أغاث هؤلاء نپتیون القاهر ، لكانت ملحمة فاصلة فی هذه الحرب الشعواء !

وكأن السماء قد أیقظت ضمائر الیونانیین ، وبرهنت لهم أن أخیل ما دام لا یخوض معهم المعمعة ، فلا نصر لهم ولا غلبة ، ولا محیص من هذه الهزائم المتتالیة ، والجروح التی لم تكن قصاصا لولا أن أدركهم نپتیون !

عرف الیونانیون هذا ، وآمنوا بعد هذا الفزع الأكبر أن لو كان أخیل بینهم یوم هذه الكریهة لما حفلوا بمارس وأتباعه ، ولأظفرتهم آلهتهم بأعدائهم ، ومارس وملته ، وأپوللو وجنوده جمیعاً . . .

وانطلق نسطور فعرض علی أجامنون مصالحة أخیل وإرضاءه ، وبعد لأی رضی القائد العام أن ینطلق نسطور [1] وأولیسیز وأجاكس وفونیكس إلی معسكر أخیل ، مندوبین عن القائد ، لیعرضوا علیه صلحاً شریفاً ، وموثقاً كریماً ، یرضاه الطرفان ؛ ولكن أخیل یثور لكرامته ، ویأبی إلا . . . بریسیز . . ! ثم لا یشترك فی حرب ضد الطروادیین . . .

ویلح أولیسیز علی صدیقه القدیم . . . . ولكن صدیقه القدیم ما یزداد إلا شماساً ، وما یزداد إلا أنفة . . .

ویكون فونیكس قد نالت منه حجج أخیل ، ویكون قد خلبه بیانه ، وبهره حسن منطقه ، وطلاقة لسانه ، وعظیم شجاعته ، فیؤثر البقاء معه ، مخاصماً الهیلانیین جمیعاً حتی یرضی أخیل فیتركه أولیسیز وصاحباه ، ویعودون إلی أجامنون . . . یخفی أخیل ! !

* * *

وهكذا تم كل هذه الأحداث الجسام . . .

وزیوس یغط فی نومه الهادئ الناعم یوماً بأكمله . . حتی یبطل السحر ، وتذهب الرقیة ، فیهب الآله الأكبر من سباته حیران أسیفاً . . . لأنه ینظر من ذروة جبل إیدا ، فیری إلی نپتیون الجبار یصول فی ساحة طروادة ویجول ، ویصرع الابطال ، ویجندل الأقران ، ویری إلی مارس المتید ، وجنوده الأقویاء ، یفرون من وجه سید البحار ، لا یلوون علی شیء . . .

ویری أیضاً إلی أخیل ما یزال منفرداً فی فسطاطه ، قریباً من سفائنه ، والحزن یمضه ، ویوهی جلده ، فیحزن الآله الأكبر ویُنفذ إیریس إلی نپتیون لیزجره ، ویأمره أن یغادر المعمعان فی الحال ، وإلا أرسل علیه سید الأولمپ صواعقه ، وهناك لا یكون له حول ولا تكون له قوة . . .

ویغادر نپتیون الوقعة ، ولكن بعد أن دمر الطروادیین تدمیراً ! . . .

« لها بقیة »

دریني خشبه

(١) فی بعض المصادر أن نسطور لم ینطلق معهم إلی أخیل

رسائل تاريخية

هی أربع رسائل من تاریخ الشام والتاریخ العام (١) الفلك المشحون فی أحوال محمد بن طولون وهو مؤلف الرسائل (٢) الشمعة المضیة فی أخبار القلعة الدمشقیة (٣) المزة فیما قیل فی المزة (٤) اللمعات البرقیة فی النكت التاریخیة ، جمع فیها أغرب ما وقف علیه من حوادث التاریخ . وهی فی نحو مائتی صفحة بسبعة قروش

المبهج فی شعراء الحماسة لابن جنی

فی فلسفة الأسماء وتعلیلها ، ٧٣ صفحة بأربعة قروش

أخبار الظراف والمتماجنین لابن الجوزی

كتاب فكاهة وأدب وتاریخ ، ١٠٦ صفحات بأربعة قروش

(تطلب من مكتبة القدسی بباب الخلق بحارة الجداوی بدرب سعادة بالقاهرة)

رحلة الى حدود مصر الغربية

مرسى مطروح ، سيوه ، السلوم

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

شددت رحالى إلى الناحية الغربية من الديار المصرية، تلك الناحية التى يجهل عن أهلها الشىء الكثير ، فكان أن بدأت بخط ادكو ورشيد ، فمررنا بأراض شبه صحراوية ، بها مزارع متناثرة غير متصلة ، وبخاصة حول أدكو ، وهنا أدهشني نشاط الأهلين فى الكد وراء كسب عيشهم حتى الأطفال ، فتراهم لا يضيعون من وقتهم شيئاً ، يخرجون جماعات لصيد السمك أو الطيور ، ويتجرون فى ذلك كباراً وصغاراً ، وأنت ترى جموعهم تتهافت على القطار يعرضون عليك سلعهم هذه ، فان أعوزهم المشترون عكفوا على دورهم يأكلون ما تخلف معهم من سمك كثير وطير وفير ؛ لذلك كنا نلمس فى أجسادهم وفرة التغذية والامتلاء ، ومن السلع المنتشرة هنالك البيض والليمون ، أما غابات النخيل فهى فى كثرة فائقة ، ومنها نستمد البلح الرشيدى (الزغلول) ذائع الصيت . ولقد مررنا بتفتيش إدفينا ، وهنا تجلت المجهودات الجبارة التى بذلت فى استثمار تلك الأراضى التى كانت بائرة نزة ، فلقد زودت بالمصارف والمضخات والقنوات ، فأضحت جنة يانعة ، وهى ملك للخاصة ؛ ويا حبذا لو شمل ذلك الاصلاح ما جاورها من متسعات لا يزال أمرها مُنغلقاً مهملاً ، وهنالك بعض الشركات الأجنبية تشترى المساحات الشاسعة وتتعهدها بالاصلاح ، فهلا قامت الحكومة بذلك أو ساعدت الأهلين عليه حتى لا تزيد فى ملكية الأجانب وامتيازاتهم فى بلادنا ؟ دخلنا رشيد فأعجبت بلدا عتيقا ، بيوته بالآجر الأحمر الصغير لا يكسوه ملاط ، وهى تقوم على النيل ، ومن أظهر ما يسترعى نظرك مداخن لا حصر لها هى لمضارب الأرز أنشط جهات العمل فى البلدة ، وعلى مسيرة زهاء خمسة كيلو مترات يلتقى النيل بالبحر فى لسان شبيه بذاك الذى فى رأس البر ، ولقد كان ماء هذا الشهر عذباً (أغسطس) بعد أن ظل مالحاً ستة شهور قبل ذلك من طغيان ماء البحر على النهر ، وسيظل الماء عذباً بقية العام ؛ ويجاور البلد عدد من الملاحات ، ونرى زوارق الصيد يغص بها النهر والبحر ، ومهنة صيد السمك رئيسية هنالك

عدت إلى الاسكندرية ، وقمت صوب الغرب إلى مطروح مسافة تزيد على ٣٠٠ كم ، ثلاثة أرباعها بسكة الحديد إلى محطة فوكه وبعدها بالسيارات الكبيرة ، وكان قد أنشأ ذاك الخط سمو الخديو السابق رغبة فى تعمير تلك الناحيه التى كان يمتلك جل أراضيها ويحاول اصلاحها ، لكنه اعتزم أن يبيع الخط للطليان ، فسارعت الحكومة بشرائه منه ، ولقد سار القطار الى جانب مستنقعات بحيرة مريوط وصحرائها الملحة طويلا ، ومر بمحطة (اكتحى مريوط) ؛ ولعل أكبر البلاد (الحمام) العاصمة التجارية لتلك الناحية ، أما الأهلون فهم قليلون مشتتون فى خيامهم ، ولهم لهجتهم العربية المحرفة ، وقد كنا نقف على المحطة فلا نرى من المساكن شيئاً سوى أبنية عمال المحطة ، فنتساءل أين البلدة ؟ فيقولون : ليس هناك من بلد ، والأهلون متفرقون فى مساحة شاسعة من الأرض حولها ، ويبدو عليهم العوز والجوع ، وبخاصة فى هذا العام الذى تخلف فيه المطر فأجدبت منابت الشعير ، وكنا نرى مساحات الأراضى التى (عزقها) أصحابها وبذروا فيها الشعير كعادتهم وتركوها حتى ينزل عليها مطر الشتاء فيسقيها ، وعند اقتراب نضجها يعودون من جولاتهم الطويلة — التى قد تصل بهم الى داخل مديرية البحيرة — ويحصدونها

وبعد مسير ثمانى ساعات ونصف من الاسكندرية أشرفنا على مرسى مطروح فى خليج هلالى ، تقوم المبانى على جوانبه فى شوارع متعامدة أبعادها تكاد تكون متساوية وهندستها موحدة بسيطة ، جلها شبه مربعات من طابق واحد يكسوه الطلاء الأبيض ، وقل أن تجد بناء يشذ فى علوه أو لونه وهندسته ، والشوارع هناك فسيحة ، ويبدو عليها المظهر الصحراوى فى ندرة النبت ، وان حاولت المحافظة استنبات بعض الأشجار القليلة على جوانب الطرق ؛ وهناك بيت المحافظ الانجليزى — ومطروح تعتبر عاصمة محافظة الحدود الغربية —

يشرف على البحر ، ويليه بيت وكيل المحافظ وسائر الموظفين . ومما يذكر للادارة هناك بالفخر ، عنايتها بالنظافة التامة ، ورعاية صحة الأهلين والرقابة الخلقية عليهم ؛ ولقد أعدت للموظفين ناديا صغيراً جميلاً على البحر زود بصنوف الحلوى والمرطبات وأدوات اللعب البريء ومجهاز للراديو يسرى عنهم فى معيشتهم المنعزلة الموحشة ؛ وتضاء الشوارع بالمصابيح الكبيرة التى تقلل من وحشة سكون الليل الرهيب هنالك . وخير ما يتجلى منظر البلدة فى كامل روائه من الاستراحة الحكومية التى أقيمت على النجاد التى أدت بسيارتنا إلى شاطئ خليج مطروح ؛ وفى ناحية نائية من غرب مطروح مسجد أنيق (لسيدى العوام) بطل المنطقة وقد بناه الخديو السابق كما بنى كثيراً من المساجد فى بلدان خط مربوط ، وكانت تقوم حوله طائفة من مساكن الأعراب فعوضتهم عنها الحكومة وأزالتها وأقامت مصيفاً يسمونه الليدو ، فبدأت بنزل فاخر زودته بكافة وسائل الترف والراحة وجعلت أجر المقام به نصف جنيه فى اليوم ، ثم أقامت حوله بيتين صغيرين أنيقين (فلات) لمن يريد الاستئجار . على أن عزلة المكان وبعده وافتقاره إلى وسائل اللهو قد زهد المصيفين فيه ، إذ أنى لم أحص فى الصيف كله أكثر من عشرة أشخاص ، فهو عندى خير مصطاف لطلاب الراحة البريئة والسكون الشامل وهؤلاء قليلون ؛ ويخيل إلى أن تقدير الحكومة الصدقية كان خاطئاً إذ كلفته نيفاً وعشرين ألف جنيه لن يسد للدولة منها شيئاً . ولقد قال لى بعض الناس من سكان البلد إنها فكرة انجليزية قصد بها أن يقيم على حساب الدولة مستراضاً للمارة من السادة الانجليز فى روحاتهم وغدواتهم على الحدود الغربية

وأهل البلد من الأعراب يسيرون فى ثيابهم الفضفاضة ، وسادتهم يطوقون كواهلهم بأحزمة بيضاء ثقيلة ، ونساؤهم يسرن سافرات فى ثياب حمراء فضفاضة أكمامها هائلة هادلة وهن على جانب كبير من السذاجة . تجلس فى المقهى فترى الواحد منهم يدخل ويقف حولك يحدق فيك ويزوغ ببصره ثم يتسكع حولك ولا يكاد ينصرف حتى ترى غيره ، وأطفالهم عراة جياع حالتهم تستدر العطف وتستنزل الرحمات ويكثر بينهم الزنوج السود وهم من عبيد السنوسية جاءوا بهم معهم بعد أن حرروهم لما أن طاردهم الطليان وأجلوهم عن ديارهم . ولأبناء السنوسى هناك مقام كبير بين الناس يكاد يبلغ حد التقديس . حدث مرة أن رأيت بيتاً فاخراً طلى باللون الأزرق على خلاف سائر بيوت البلدة فسألت أحد المارة بيت من هذا ؟ فأجاب : بيت الأسياد . قلت: ومن الأسياد ؟ فثار الرجل وصاح فى نغمة الغاضب المستنكر: الأسياد ! الأسياد ! كيف لا تعرفهم هم آل السنوسى ! ولهؤلاء جل أملاك المنطقة وأبنيتها . وإلى الجنوب الغربى من البلدة أقيم المطار فى متسع هائل واستعداد كبير لاستقبال الطائرات المختلفة ، وقد نزلت به أمامى طائرتان إحداها للشركة الهولندية التى تقوم من هولندة وبتافيا ، وهى طائرة كبيرة من الألمنيوم بها ١٤ مقعداً للمسافرين . أما الثانية فطليانية بين الأسكندرية وبنى غازى وذاك خط حديث بدأ منذ أسبوعين فقط وطائرته صغيرة

وفى مطروح محطة لاسلكية أساس عملها الاتصال بالطائرات خصوصاً الهولندية . أقمت فى مطروح زهاء يومين فى نزل أغربتى ، واليونانيون هناك نشيطون فى التجارة وبيدهم غالب سيارات النقل وحوانيت البدالة والفنادق ؛ وسيارات النقل هناك تقوم لثلاث جهات : فركة وتلك كل يوم ، السلوم ، واحة سيوة مرة أو مرتين فى الأسبوع

الى سيوه :

قمنا مبكرين نستقل سيارات الحدود فأخذنا نسير فى صحراء لانهائية عريت عن النبت حتى الشائك منه وإن كان مظهرها فى الشتاء والربيع أبهى وأجمل إذ يكثر العشب بنواره المختلف الجميل ، ولا يفتأ المسافر يمر ببقاع تنمو بها أعواد الشعير ، والطريق حجرى فى جزئه الأول ، مترب فى الأخير ، ويمر بمجموعة من آبار أذكر من بينها : حجفة جلاز عند الكيلو ٧٢ من مطروح — حجفة أى بئر بلغتهم — وحجفة البويب عند الكيلو ١٢٤ على مقربة من الاستراحة التى أقيمت لجلالة الملك يوم أن زار تلك الناحية سنة ١٩٣٨ ، ولذلك يطلقون على تلك البئر أحياناً (بئر جلالة الملك) لأنه شرب منها ، ثم بئر النصف فى منتصف الطريق عند الكيلو ١٥٠ ، والمسافة كلها ٣٠٠ كيلومتر ، وغالب تلك الآبار رومانية الأصل كانوا يحفرونها تجاويف فى الصخر تبطن بالأسمنت أو الآجر ، وتعد بفتحات ضيقة يؤدى اليها ماء المطر

عند سقوطه ليتراكم فيها ، وعلى الفتحة الرئيسية باب وحارس يكلف بحفظها من الأوساخ ومن إسراف الناس فى مائها ، وأنت ترى طائفة كبيرة من السائمة وبخاصة الأبل تحوم حول تلك العيون وتتسكع فى مرعاها عساها تشفى بعض ظمئها من الماء كلما مر بالبئر عابر ، وقد كان يبدو على بعض الأبل عند بئر جلاز ظمأ شديد ، ولم يرغب الحارس فى سقيها ، ولما سألناه عن السبب قال : لكيلا تنتجع تلك الناحية وتعتادها كثيراً فتضايقه ، على أنا أجبرناه أن يسقيها هذه المرة اكراماً لناورأفة بها

لبثنا نسير فى ذاك الطريق الوعر ثمانى ساعات ونصف الساعة — والسيارات الأخرى الكبيرة تقطعه فى يوم كامل — وقبل دخولنا الواحة أخذنا فى الهبوط تدريجاً ، وظهرت مخاريط متناثرة من الربى ، تمتد إلى الآفاق فى منظر رائع جميل ، ثم بدت الخضرة الشاحبة على بعد أمامنا ، وذاك أول قبس من سيوه التى تنخفض عن سطح البحر بنحو ٢٥ مترا ، ثم أخذت تفاصيل المنظر تبدو فى شبه غابات من النخيل مغلقة متباعد بعضها عن بعض ؛ بينها ربى أقيمت عليها المبانى بعضها للحكومة والبعض للأهلين

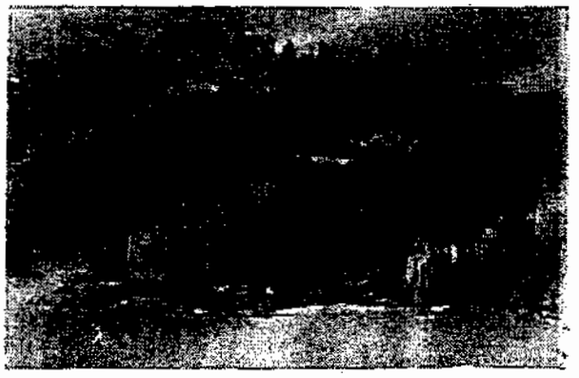

سوق سيوه يقام من أعراش على صعد من طين
ومن ورائه المساكن وكأنها الأحجار

وقفنا بباب مركز البوليس ، ولقينا حضرة المأمور أحسن لقاء ، وقدم لنا الاستراحة لنأوى اليها ، وأظهر استعداده الجميل لمساعدتنا فى جولتنا العلمية القصيرة هناك ، وكان قد أوصاه بنا خيراً سعادة وكيل المحافظ وبعض اخواننا من مطروح . دخلنا دار الاستراحة وقد أقيمت فوق ربوة شاهقة تشرف على الواحة وقد زودت بالشرفات تغطيها شبابيك من السلك لمنع البعوض ، وقد كانت الواحة مهددة بالملاريا منذ زمان بعيد ولا يزال لها بقية إلى اليوم — ولن أنسى جلستى فى إحدى تلك الشرفات ومشهد الواحة من دونى ساحر وامتداد الصحراء رهيب ، وقد عنى بتلك الاستراحة عناية خاصة ، لأن جلالة الملك قد نزل بها فى زيارته ، وبها دورة للمياه فاخرة ، وفى أسفلها بعض المغارات التى كان يتعبد فيها الشيخ السنوسى الكبير فى زياراته لتلك الواحة قديماً ، وبعد أن طارده الطليان اليها . نزلت أجوب بعض أطراف البلدة فاذا بغالب بيوتها على الربى تقام من الطين المصفر الذى يحكى الطفل ، وترى البيوت وكأنها الأحجار أو المغائر بعضها ركب فوق بعض ، وتشبه مجموعة من حصون قديمة ، وليس لها من النوافذ سوى كوى صغيرة لا تكاد تسمح لضوء الشمس أن يتخللها ، ولهم العذر فى ذلك ، لأن لفح الصيف قاتل وبخاصة فى ابريل ومايو ، وقر الشتاء زمهرير ، وشهور أغسطس وسبتمبر خير مواسم السنة جواً هنالك . ومن أظهر ما يسترعى نظرك وسط تلك الأبنية برج مربع يدق كلما علا ويشبه المدخنة وهو مئذنة لمسجد من مساجدهم القديمة ، أما سوق البلدة ومتاجرها فأقيمت فى متسعات أسفل تلك الربى وزودت بظلل من الطين وجريد النخيل ، ومداخل شوارعها ضيقة مسقفة ، لا تشعر بأنها طرق يباح المرور فيها

(يتبع)

محمد ثابت

أين تسكن الأرواح

وهل يأكلون ويشربون ؟ وأين هم . الروح حية لا تموت . كيف تظهر الأرواح ، وما هى حالاتهم . المراسلات أو المناجاة . القيامة والانتقال بالموت إلى الحياة الروحية الموعودين بها . ظهور أهلنا وأعزائنا بهيئة الأرواح الروحانية . فى دور الانتقال من هذه الحياة إلى حياة أبدية خالدة . صحة مناجاة الأرواح برسائل واضحة ثابتة . الخ

جميع هذا تجده فى كتاب « بهجة الأفراح فى مناجاة الأرواح » تأليف الدكتور عربيلى نزيل الولايات المتحدة وثمنه عشرة قروش صاغ ، ويطلب من مكتبة العرب الشهيرة بالفجالة رقم ٤٧ بمصر تليفون رقم ٥٦٠٢٥ . وللمكتبة قائمة ترسل مجاناً لكل طالب